بسم الله الرحمن الرحيم

حامدا و مصلّيا

مقدمة الطبع

هذا الكتاب من اجود تصانيف امام اللغة و الأدب العلامة ابى بكر ابن دريد الأزدى ـ رحمه الله ، مشتمل على فنون شتى من الأخبار الموثقة و الألفاظ المؤنقة و الأشعار الرائقة و المعانى المعجبة و الحكم المتناهية و الأحاديث المنتخبة ؛ أتى فيه بأحاديث النبى صلى الله عليه و آله و سلم التى فاقت ادبا و بلاغة و اشتهرت بجوامع الكلم حتى ضربت الأمثال بتلك الكلمات ، انما هى فى الظاهر كلمة او كلمتان خفيفتان و فى الباطن عينان نضاختان ، وتلمع هذه الكلمات كالنجوم فى السماوات ، فشرحها المصنف و أظهر ما كان مكنونا فيها من المعانى و المطالب و بين نكاتها الأدبية ، ثم أتى بشواهدها من كلام الشعراء و البلغاء ؛ ثم ذكر ما حفظ من كلام ابى بكر الصديق رضى الله عنه و عمر بن الخطاب رضى الله عنه وعثمان بن عفان رضى الله عنه و على بن ابى طالب كرم الله وجهه و غيرهم من الصحابة ، و كان علىّ عليه السلام إماما فى الأدب و رأسا فى اللغة و مقتدى فى البلاغة ، خطبه العجيبة مذكورة فى نهج البلاغة ؛ ثم بعد هذا نقل ما حفظ من اقوال الحكماء و كلام الشعراء و أقاويل الأدباء .

قال ابن خلكان : هذا الكتاب مع صغره كثير الفائدة . يجب على كل طالب ان يتفحص لآليه و يزين نفسه بمعانيه و يرصع علمه بمعاليه .

سمع هذا الكتاب القاضى الأجل الفاضل ضياء الدين ابو الحسن محمد ابن اسماعيل المعروف بابن ابى الحجاج ، و كتب زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن الكندى ابو اليمن فى جمادى الآخرة سنة تسع و تسعين و خمسمائة .

فنحن نشكر للعالم الجليل المستشرق الكبير فريتس كرنكو انه نسخ هذا الكتاب عن نسختين قديمتين احداهما كانت فى مكتبة اكسفورد و أخراهما فى المتحف البريطانى ، ثم انه صححه بأحسن ما يكون و رتب فهارسه التى كانت ضرورية له .

هذا العالم من اشهر علماء الغرب و إنه الى الآن مع كبر سنه مشغول فى احياء العلوم العربية ـ جزاه الله خير الجزاء !

ترجمة المصنف

هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية بن حنتم بن الحسن بن حمامى بن جرو بن واسع بن وهب بن سلمة بن حنتم بن حاضر بن حنتم بن ظالم بن حاضر بن اسد بن عدى بن عمرو بن مالك بن فهم بن غانم بن دوس ابن عُدثان بن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله ابن مالك بن نصر بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان ابن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان الأزدى اللغوى البصرى .

قال ابن دريد : وحمامى هذا اول من اسلم من آبائى و هو من السبعين راكبا الذين خرجوا مع عمرو بن العاص من عمان الى المدينة لما بلغهم وفاة رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم ؛ هكذا مذكور فى تاريخ الكامل لابن الأثير .

كانت ولادة ابن دريد بالبصرة فى سكة صالح فى خلافة المعتصم بالله سنة ثلاث و عشرين و مائتين ثم انه نشأ بها و تعلم فيها علم اللغة و الأدب و الشعر من اشهر علماء البصرة منهم العلامة ابوحاتم السجستانى النحوى انه كان نزيل البصرة و كان اماما فى علوم الأدب و كان كثير الرواية عن ابى زيد الأنصارى و كان عالما باللغة و الشعر و العروض ، و كان صالحا عفيفا

عفيفا يتصدق كل يوم بدينار و يختم القرآن كل اسبوع ، وله مصنفات كثيرة .

و من شيوخ ابن دريد ابو الفضل العباس بن الفرج الرياشي النحوى اللغوى كان عالما عارفا بأيام العرب كثير الاطلاع ، ومنهم عبد الرحمن بن عبد الله المعروف بابن اخى الأصمعى ، و أبو عثمان سعيد بن هارون الأشناندانى صاحب كتاب المعانى و غيرهم من الأئمة المتبحرين .

لما فرغ ابن دريد من تحصيل العلوم سار الى عمان و أقام بها اثنتى عشرة سنة ثم عاد الى البصرة و سكنها زمانا بعد ذلك ثم خرج الى فارس و صحب ابنى ميكال و كانا يومئذ على عمالة فارس و قلداه ديوان فارس وكانت تصدر كتب فارس عن رأيه و لا ينفذ امر الا بعد توقيعه فاستفاد منهما مالا كثيرا و صنف لها كتاب الجمهرة فى اللغة ، اما قصيدته المشهورة بالمقصورة فمدح فيها امير نيسابور ابا العباس اسماعيل بن عبد الله بن محمد بن ميكال و وصف مسيره الى فارس و يتشوق الى البصرة و إخوانه بها ، و أولها :

أما ترى رأسى حاكى لونه طرة صبح تحت اذيال الدجى

و عدد أبياتها تسعة و عشرون و مائتان و قد عارضه فيها جماعة من الشعراء ، و من اجود شروحها شرح الفقيه ابى عبد الله محمد بن احمد بن هشام النخعى .

و ذكر ابو على البيهقى فى كتاب النتف و الطرف ان ابن دريد صنف كتاب الجمهرة للامير ابى العباس المذكور ايام امارته فى فارس فأملاه عليه . ثم قال : حدثنى ابو العباس قال : املى على ابو بكر الدريدى كتاب الجمهرة من اوله الى آخره حفظا سنة ٣٩٧ هـ ، و وصل اليه من ابنى ميكال على قصيدته المقصورة عشرة آلاف درهم .

و لما عزل ابن ميكال عن فارس انتقل ابن دريد من فارس الى بغداد و دخلها سنة ثمان و ثلاثمائة انزله على بن محمد الخوارزمى فى جواره و أحسن اليه ، ثم انه اخبر الخليفة المقتدر بالله بعلمه و فضله فأجرى له خمسين دينارا شهرية

ولم تزل جارية الى حين وفاته .

كان ابن دريد من ائمة اللغة والأدب احفظ اهل عصره لدواوين العرب وأشعارها .

قال الخطيب عمن رأى ابن دريد انه كان واسع الحفظ ، ما رأيت احفظ منه فى العرب كانت تقرأ عليه دواوين العرب كلها او أكثر فيسابق الى اتمامها بالحفظ .

وروى ان ابا عثمان الأشناندانى كان معلمه وكان عمه الحسين بن دريد يتولى تربيته وكان اذا اراد الأكل استدعى ابا عثمان ان يأكل معه فدخل يوما عمه على ابى عثمان وهو يرويه قصيدة الحارث بن حلزة اليشكرى فقال له عمه : اذا حفظت يا ابن دريد ! هذه القصيدة وهبت لك كذا وكذا ، ثم دعا المعلم ليأكل معه فدخل عليه وأكلا وتحدثا بعد الأكل ساعة فالى ان يرجع المعلم حفظ ابن دريد ديوان الحارث بأسره فخرج المعلم فأسمعه القصيدة ثم رجع المعلم الى عمه وذكر ذلك له فأعطاه ماوعده .

تذاكر الناس يوما المتنزهات وابن دريد حاضر فقال بعضهم : أنزه الأماكن غوطة دمشق ، وقال آخرون : نهر الابلة ، وقال جماعة : بل سغد سمرقند ، وقال بعضهم : نهروان ، وقال بعضهم : نوبهار بلخ ، فقال ابن دريد : هذه متنزهات العيون فأين انتم عن متنزهات القلوب ؟ قالوا : وما هى يا ابابكر ؟ قال : عيون الأخبار للقتيبى ، والزهرة لابن داود ، وقلق المشتاق لابن ابى طاهر ، ثم انشأ يقول :

ومن تك نزهته قينة وكأس تحث وكأس تصب
فنزهتنا واستراحتنا تلاقى العيون ودرس الكتب

لاريب فيه ان العلوم نزهة القلوب للعلماء المتبحرين كما يظهر من مقالة ابن دريد انه كان لا يحب شيئا الا العلم ، ولا تقر عيناه الا من الكتب ، وبذلك الحب والعلق فى العلم يكون الرجل صاحب الكمال والفضل ،

ومن علامة صاحب العلم ان لايكون فى جلسائه الا الكتب كما قيل :

و خير جليس فى الزمان كتاب .

و كان ابن دريد شاعرا مجيدا ، اول ما قاله هو هذا :

ثوب الشباب علىّ اليوم بهجته فسوف تنزعه عنى يد الكبر

انا ابن عشرين ما زادت و لا نقصت ان ابن عشرين من شيب على خطر

قال ابو الطيب اللغوى فى كتاب مراتب النحويين عند ذكر ابن دريد : هو الذى انتهت اليه لغة البصريين و كان احفظ الناس و أوسعهم علما و أقدرهم على الشعر ، و ما ازدحم العلم و الشعر فى صدر احد ما ازدحما فى صدر ابن دريد .

قال الحافظ ابن حجر العسقلانى: انه كان رأسا فى الأدب يضرب المثل بحفظه ، هو أشعر العلماء و أعلم الشعراء .

قال ابن دريد: خرجت اريد زهران بعد دخول البصرة فمررت بدار كبيرة قد خربت بأيدى الزمان فكتبت على حائطها :

اصبحوا بعد جميع فرقا و كذا كل جميع مفترق

فمضيت و رجعت فاذا تحته مكتوب :

ضحكوا و الدهر عنهم صامت ثم ابكاهم دما حين نطق

انه كان متصفا بأوصاف الشعراء المتقدمين ، كان طلق الوجه حاضر الجواب متأثرا من المناظر متفكرا فى المعانى جوادا سخيا فى العطايا .

روى ان سائلا جاء عنده يوما فلم يكن عنده غير دن نبيذ فوهبه له فجاء غلامه و أنكر عليه وقال: ايش اعمل لم يكن عندى غيره! فتلا فى جوابه قوله تعالى: " لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون " فما تم اليوم حتى اهدى له عشرة دنان ، فقال لغلامه: انى تصدقت بواحدة و أخذت عشرة دنان .

روى انه كان يشرب الخمر و رئى مرارا سكران و هذا من المعايب و لكنها لا تنافى فضله و شهرته فى العلم ، كما قيل : انظر الى ما قال و لا تنظر الى من قال . و كرام الناس لا يلتفتون الى المعايب بل الى المحاسن ،

و ندعو الله تعالى ان يغفر له !

فقد كان بحرا واسعا فى العلم ، تعلم منه كثير من العلماء و الأدباء فى البصرة و فارس و بغداد ، و كذلك روى عنه كثير .

و من اشهر تلامذته على بن الحسين ابو الفرج الأصبهانى صاحب كتاب الأغانى ، قال فيه صاحب معجم الأدباء : هو العلامة النسابة الأخبارى الحافظ الجامع بين سعة الرواية و الحذق فى الحفظ لا اعلم لأحد احسن من تصانيفه فى فنها وحسن استيعاب ما يتصدى لجمعه و كان مع ذلك شاعرا مجيدا ، مات فى اربع عشرة من ذى الحجة سنة ٣٥٦ هـ .

و أبو سعيد السيرافى كان من اعلم الناس بنحو البصريين شرح كتاب سيبويه و أجاد فيه ، وله تصانيف كثيرة و حصل من استاذه ابن دريد علم اللغة .

و أبو على اسماعيل بن القاسم القالى وغيرهم من ائمة اللغة و الأدب .

و كان ابن دريد من ابرع المصنفين صنف كتبا كثيرة فى فنون شتى و هى مشهورة بين الناس .

منها كتاب الجمهرة فى اللغة ، قال فيه صاحب كشف الظنون : انه كتاب معتبر مفيد جدا مدح فيه « كتاب العين » مدحا كثيرا و قال : اخترنا بناءه على تأليف الحروف المعجمة ، فبدأ بالثنائى ثم بالرباعى ثم ملحق الرباعى وكذا الخماسى و السداسى و ملحقاتها .

و منها « كتاب المجتنى » و « كتاب الأمالى » لخصه جلال الدين السيوطى و « كتاب السرج و اللجام » و « كتاب اشتقاق اسماء القبائل » و « كتاب اللاحن » و « كتاب المقتبس » و « كتاب المقصور و الممدود » و « كتاب الخيل الكبير » و « كتاب الخيل الصغير » و « كتاب الأنواء » وكتاب السلاح » و « كتاب غريب القرآن » لم يتم و « كتاب ادب الكاتب »

(١) قد طبع هذا الكتاب بمطبعة دائرة المعارف العثمانية فى ثلاث مجلدات فى سنة ١٣٤٤ هـ .

و « كتاب

و « كتاب تقويم اللسان » و « كتاب المطر » و غيرها .

قال المسعودى فى مروج الذهب : انه كان ببغداد ممن برع فى زماننا هذا فى الشعر و انتهى فى اللغة و قام مقام الخليل بن احمد فيها و أورد أشياء فى اللغة لم توجد فى كتب المتقدمين ، و كان يذهب فى الشعر كل مذهب فطورا يجزل و طورا يرق ، و شعره اكثر من ان نحصيه ، و الحق ما قال المسعودى فى كتابه : انه كان اماما فى اللغة و الأدب و شاعرا مجيدا يفضل معاصريه .

و لما بلغ ابن دريد من العمر تسعين سنة عرض له فالج و لكن صح بعد التداوى حتى رجع الى احواله السابقة و أملى على تلامذته و أسمعهم ، ثم عاوده الفالج بعد سنة لتناول غذاء ضار فكان يحرك يديه حركة ضعيفة فبطلت حركته من محزمه الى قدميه ، و إذا دخل عليه داخل ضج و تألم من دخوله ، و كان مع هذا ثابت الذهن سليم العقل كامل الحفظ يجيب عما يسأل عنه جوابا صحيحا شافيا ، قال تلميذه ابو على اسماعيل ابن القاسم : عاش بعد ذلك سنتين و كنت اسأله عن شكوكى فى اللغة و هو بهذه الحال فيرد بأسرع من النفس بالصواب و يقول : بعد رحلتى لن تجد من يشفيك فى العلم ، هكذا قال لى ابو حاتم السجستانى و الأصمعى فى وقته .

قال ابو على : آخر ما سمعت من كلامه انه قال لى فى جواب سؤال : يا بنى ! حال الجريض دون القريض ، فسارت مثلا ، الجريض هو الغصة و القريض الشعر ، فكأنه قال : حالت الغصة دون انشاد الشعر .

توفى ابن دريد امام اللغة و الأدب ببغداد يوم الأربعاء لاثنتى عشرة ليلة بقيت من شهر شعبان سنة احدى و عشرين و ثلاثمائة ، اطاب الله ثراه و غفر له برحمته ! و دفن بالمقبرة المعروفة بالعباسية من الجانب الشرقى فى ظهر سوق السلاح من الشارع الأعظم ، و قيل : انه دفن بظهر السوق الجديدة المعروفة بمقابر العباسية . قال ابو العلاء احمد بن عبد العزيز : كنت فى جنازة

ابى بكر بن دريد و فيها جحظة فأنشدنا لنفسه :

فقدت بابن دريد كل فائدة لما غدا ثالث الأحجار و الترب
و كنت أبكى لفقد الجود منفردا فصرت ابكى لفقد الجود و الأدب

قال الحسن بن على : لما توفى ابن دريد حملت جنازته الى مقبرة الخيزران ليدفن بها و كان فى ذلك اليوم مطر كثير فاذا بجنازة اخرى مع نفر قد اقبلوا بها من ناحية باب الطاق و هى جنازة ابى هاشم عبد السلام بن على الجبائى الفيلسوف فقال الناس : مات علم اللغة و الفلسفة بموت ابن دريد و الجبائى ، فدفنا رحمهما الله تعالى فى تلك المقبرة .

قد اخذت احوال ابن دريد من تاريخ ابن خلكان و معجم الأدباء و لسان الميزان و مروج الذهب للمسعودى و تاريخ مدينة السلام للخطيب البغدادى ومرآة الجنان لليافعى و غيرها من كتب التاريخ .

السيد هاشم الندوى
مدير دائرة المعارف العثمانية